الآفة الثانية
الإسراف

والآفة الثانية التى تصيب بعض العاملين، ولابدّ أن يتخلّصوا منها، وأن يتحصنوا ضدّها، إنما هى الإسراف، ولكى يكون حديثنا عن إسراف العاملين واضحا محدّد المعالم، سنجعله يدور على النحو التالى :

أولا : معنى الإسراف :

لغة : الإسراف فى اللغة يطلق ويراد به :

أ ـ ما أنفق من غير طاعة .

ب ـ أو التبذير، ومجاوزة الحد [1] .

اصطلاحا : أما فى اصطلاح الدّعاة : فيراد به مجاوزة حدّ الاعتدال فى الطعام، والشراب، واللباس، والسكنى، ونحو ذلك من الغرائز الكامنة فى النفس البشرية.

ثانيا : أسباب الإسراف :

وللإسراف أسباب وبواعث توقع فيه، وتؤدى إليه، ونذكر منها :

١ ـ النشأة الأولى :

فقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هى النشأة الأولى، أى الحياة الأولى: ذلك أنّ المسلم قد ينشأ فى أسرة حالها الإسراف والبذخ، فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسى، إلا من رحم الله، على حدّ قول القائل :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

ولعلّنا بهذا ندرك شيئا من أسرار دعوة الإسلام وتأكيده على ضرورة اتّصاف الزوجين، والتزامهما بشرع الله وهديه : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ**

---

(١) انظر: القاموس المحيط ٣ / ١٥٦، والمعجم الوسيط ١ / ٤٢٧، والصّحاح فى اللغة والعلوم ص ٤٧٤ مادة : « سرف ».

وَإِمَائِكُم ﴾ [النور : ٣٢] . ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٢١].

« تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١) .

٢ ـ السعة بعد الضيق :

وقد يكون الإسراف سَبَبَهُ السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، ذلك أن كثيرا من الناس قد يعيشون فى ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر، فإذا هم صابرون محتسبون، بل وماضون فى طريقهم إلى ربهم، وقد يحدث أن تتغيّر الموازين، وأن تتبدل الأحوال، فتكون السّعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال، فينقلب على النقيض تماما فيكون الإسراف أو التبذير .

ولعلنا بهذا ندرك بعض الأسرار التى من أجلها حذَّر الشارع الحكيم من الدنيا، وأوصى بأن يكون النّيل منها بقدر . يقول النبى ﷺ :

« فأبشروا، وأمّلوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم » (٢) . « إن الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أوّل فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٣).

٣ ـ صحبة المسرفين :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنَّما هى صحبة المسرفين، ومخالطتهم، ذلك أن

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب النكاح، باب الأكفاء فى الدين ٧ / ٩، ومسلم فى: الصحيح : كتاب النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين ٢ / ١٠٨٦ رقم (١٤٦٦)، كلاهما من حديث أبى هريرة عنه ﷺ به، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا، والتنافس فيها ٨/ ١١٢، ومسلم فى: الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٧٣، ٢٢٧٤ رقم (٢٩٦١)، كلاهما من حديث عمرو بن عوف، عنه ﷺ به، واللفظ لمسلم .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٤ / ٢٠٩٨ رقم (٢٧٤٢) من حديث أبى سعيد الخدرى عنه ﷺ به .

الإنسان غالبا ما يتخلق بأخلاق صاحبه،وخليله، لاسيما إذا طالت هذه الصحبة، وكان هذا الصاحب قوى الشخصية، شديد التأثير .

ولعلّنا بذلك ندرك السرّ فى تأكيد الإسلام ، وتشديده على ضرورة انتقاء الصاحب أو الخليل ، ولقد مرت بنا بعض النصوص الدالة على ذلك أثناء الكلام عن أسباب الفتور .

٤ ـ الغفلة عن زاد الطريق :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هى الغفلة عن زاد الطريق، ذلك أن الطريق الموصلة إلى رضوان الله والجنّة، ليست طريقا مفروشة بالحرير والورود والرياحين، بل بالأشواك والدموع، والعرق والدماء والجماجم ؛ وولوج هذه الطريق لا يكون بالترف، والنعومة، والاسترخاء، وإنّما بالرجولة والشدة، ذلك هو زاد الطريق، والغفلة عن هذا الزاد توقع المسلم العامل فى الإسراف .

ولعلنا بذلك ندرك سرّ حديث القرآن المتكرر المتنوع عن طبيعة الطريق : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** (٢١٤) ﴾ [البقرة] . ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** (١٤٢) ﴾ [آل عمران] إلى غير ذلك من الآيات .

٥ ـ الزوجة والولد :

وقد يكون السبب فى الإسراف، إنّما هى الزوجة والولد،إذ قد يبتلى المسلم العامل بزوج وولد ، دأبهم وديدنهم الإسراف، وقد لا يكون حازما معهم، فيؤثرون عليه، وبمرور الأيام، وطول المعاشرة، ينقلب مسرفا مع المسرفين .

ولعلّنا بذلك نفهم بعض الأسرار التى قصد إليها الإسلام حين أكد ضرورة انتقاء واختيار الزوجة، وقد تقدمت بعض النصوص الدالة على ذلك قريبا، أثناء الحديث عن السبب الأول، وحين أكد على ضرورة الاهتمام بتربية الولد والزوجة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (٦) ﴾ [التحريم] .

« ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذى على الناس راع، وهو

مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهى مسؤولة عنهم. . .» الحديث [١] .

٦ ـ الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغى أن تكون :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هى الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغى أن تكون، ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة، بل هى متقلبة متغيرة، تكون لك اليوم وعليك غدا، وصدق الله العظيم : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ﴾ [آل عمران : ١٤٠].

والواجب يقتضى أن نكون منها على وجل وحذر : نضع النعمة فى موضعها، وندخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية اليوم من مال، وصحة، ووقت إلى الغد أو بعبارة أخرى : ندّخر من يوم إقبالها ليوم إدبارها .

تلك هى طبيعة الحياة الدنيا، وهذا ما ينبغى أن يكون، والغفلة عن ذلك قد توقع فى الإسراف.

٧ ـ التهاون مع النفس :

وقد يكون السبب فى الإسراف التهاون مع النفس، ذلك أن النفس البشرية تنقاد وتخضع، ويسلس قيادها بالشدة والحزم، وتتمرد وتتطلع إلى الشهوات، وتلحّ فى الانغماس فيها بالتهاون واللين، وعليه فإن المسلم العامل إذا تهاون مع نفسه، ولبى كل مطالبها، أوقعته لا محالة فى الإسراف.

ولعلنا بذلك نفهم السر فى تأكيد الإسلام على ضرورة المجاهدة للنفس أولاً وقبل كل شىء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم ﴾ [الرعد : ١١]. ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس]. ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت] .

٨ ـ الغفلة عن شدائد وأهوال يوم القيامة :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هى الغفلة عن شدائد وأهوال يوم القيامة،

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ٩/ ٧٧، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل ٣/ ١٤٥٩ رقم (١٨٢٩)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ به، واللفظ للبخارى .

ذلك أن يوم القيامة يوم فيه من الشدائد والأهوال، ما ينعقد اللسان وتعجز الكلمات عن الوصف والتصوير، وحسبنا ما جاء فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنّة النبىﷺعن هذا اليوم .

ومن ظلّ متذكرا ذلك، متدبرا فيه، قضى حياته غير ناعم بشىء فى هذه الحياة الدنيا، أما من غفل عن ذلك، فإنّه يصاب بالإسراف والترف، بل ربّما ما هو أبعد من ذلك .

ولعلّنا بهذا ندرك شيئا من أسرار دوام خشيتهﷺلربه وقلة تنعّمه، ونيله من الحياة الدنيا .

يقولﷺ : « لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا » (١) . وفى رواية أخرى : « . . . وما تلذذتم بالنساء على الفرش » (٢) .

٩ ـ نسيان الواقع الذى تحياه البشرية عموما، والمسلمون على وجه الخصوص :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هو نسيان الواقع الذى تحياه البشرية عموما، والمسلمون على وجه الخصوص، ذلك أن البشرية اليوم تقف على حافة الهاوية، ويوشك أن تتزلزل الأرض من تحتها فتسقط، أو تقع فى تلك الهاوية، وحينئذ يكون الهلاك أو الدمار، أما المسلمون فقد صاروا إلى حال من الذل والهوان يرثى لها، ويتحسر عليها، ومن بقى مستحضرا هذا الواقع، وكان متبلد الحس، ميّت العاطفة، فإنه يمكن أن يصاب بالترف والإسراف، والركون إلى زهرة الدنيا وزينتها .

ولعلنا بذلك ندرك شيئا من أسرار حزنه واهتمامهﷺبأمر البشرية قبل البعثة، وبعدها، حتى عاتبه ربّه، ونهاه عن ذلك : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦** ﴾ [الكهف] . ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣** ﴾ [الشعراء] . ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾ [فاطر : ٨] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرّقاق : باب قول النبىﷺ : « لو تعلمون ما أعلم » ٨/ ١٢٧ من حديث أبى هريرة وأنس عنهﷺبه، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى قول النبىﷺ : « لو تعلمون ما أعلم » ٤ / ٤٨٢ رقم (٢٣١٣) من حديث أبى هريرة عنهﷺبه، وعقّب عليه بقوله : « هذا حديث صحيح » .

(٢) أخرج هذه الرواية الترّمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى قول النبىّﷺ : « لو تعلمون ما أعلم » ٤/ ٤٨٢ رقم (٢٣١٢) من حديث أبى ذرّ، وعقّب عليه بقوله: « هذا حديث حسن غريب».

١٠ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف :

وقد يكون السبب فى الإسراف إنّما هى الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف، ذلك أن للإسراف آثارا ضارة، وعواقب مهلكة، على النحو الذى سنعرض له بعد قليل.

ولقد عرف من طبيعة الإنسان، أنّه غالبا ما يفعل الشيء أو يتركه، إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه، أما إذا غفل عن هذه الآثار فإن سلوكه يختل، وأفعاله تضطرب، فيقع أو يسقط فيما لا ينبغى، ويهمل أو يترك ما ينبغى .

وعليه فإن المسلم العامل إذا غفل عن الآثار المترتبة على الإسراف، يكون عرضة للوقوع فى الإسراف .

ولعلنا بذلك نفهم السرّ فى اهتمام الإسلام بذكر الحكم والمقاصد المنوطة بكثير من الأحكام والتشريعات .

ثالثا : آثار الإسراف :

هذا، وللإسراف آثار ضارة، وعواقب مهلكة، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى، وإليك طرفا من هذه الآثار:

أ ـ على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

١ ـ علة البدن :

أى أن الأثرالأول الذى يتركه الإسراف : إنّما يكمن فى علّة البدن، ذلك أن هذا البدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين الإلهية، بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص، تطرّقت إليه العلّة، وحين تتطرق إليه العلة، فإنّه يقعد بالمسلم عن القيام بالواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، أو المنوطة به .

٢ ـ قسوة القلب :

والأثر الثانى الذى يترتب على الإسراف : إنّما هو قسوة القلب، ذلك أن هذا القلب يرقّ ويلين بالجوع، أو بقلّة الغذاء، ويقسو ويجمد بالشبع، أو بكثرة الغذاء، سنّة الله، ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا** ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر]، وحين يقسو القلب، أو يجمد، فإنّ صاحبه ينقطع عن البرّ والطاعات، والويل كلّ الويل لمن كانت هذه حاله، ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر : ٢٢] ، وحتى لو جاهد المسلم نفسه ، وقام بالبرّ والطاعات

فإنه لا يجد لها لذة ولا حلاوة ، بل لا يجنى من ورائها سوى النصب والتعب ، « . . . وربّ قائم حظّه من قيامه السّهر » (١) .

٣ ـ خمول الفكر :

والأثر الثالث الذى يترتّب على الإسراف، إنما هو خمول الفكر، ذلك أن نشاط الفكر وخموله مرتبط بعدّة عوامل، البطنة أحدها، فإذا خلت البطنة نشط الفكر، وإذا امتلأت اعتراه الخمول، حتّى قالوا قديما : « إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة » .

ويوم أن يصاب الفكر بالخمول، يوم أن يحرم المسلم الفقه والحكمة، وحينئذ يفقد أخصّ الخصائص التى تميّزه عن باقى المخلوقات .

٤ ـ تحريك دواعى الشرّ والإثم :

والأثر الرابع الذى يخلفه الإسراف، إنّما هو تحريك دواعى الشرّ والإثم، ذلك أن الإسراف يولّد فى النفس طاقة ضخمة، ووجود هذه الطّاقة من شأنه أن يحرّك الغرائز الساكنة أو الكامنة فى هذه النفس، وحينئذ لا يؤمن على المسلم العامل الوقوع فى الإثم والمعصية، إلاّ من رحم الله .

ولعلّ ذلك هو السرّ فى تأكيد الإسلام على الصّوم لمن لم يكن قادرا على مؤن النكاح، إذ يقول ﷺ : « يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء » (٢) .

٥ ـ الانهيار فى ساعات المحن والشدائد :

والأثر الخامس الذى يتركه الإسراف إنّما هو الانهيار فى ساعات المحن والشدائد، ذلك أن المسرف قضى حياته فى الاسترخاء والترف، فلم يألف المحن والشدائد،ومثل هذا إذا وقع فى شدة أو محنة،لا يلقى من الله أدنى عون أو تأييد، فيضعف وينهار ؛ لأن الله عز وجل لا يعين ولا يؤيد، إلا من جاهد نفسه، وكان صادقا مخلصا فى

---

(١) هذه قطعة من حديث أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الصيام : باب ربّ صائم حظّه من صيامه الجوع ٣ / ٢٠٥، ثم عقب عليه بقوله : « رواه الطبرانىّ فى الكبير ورجاله موثّقون » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب النكاح : باب قول النبى ﷺ: « من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . .إلخ »، وباب : من لم يستطع الباءة فليصم ٧ / ٣، ومسلم فى : الصحيح : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح . . . إلخ ٢ / ١٠١٨، ١٠١٩ رقم (١٤٠٠)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً به، واللفظ لمسلم .

هذه المجاهدة : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح : ١٨] .

٦ ـ عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين :

والأثر السادس الذى يتركه الإسراف، إنّما هو عدم الرعاية، أو الاهتمام بالآخرين، ذلك أن الإنسان لا يرعى الآخرين، ولا يهتم بهم غالبا، إلا إذا أضناه التعب، وغصَّته الحاجة، كما أثر عن يوسف عليه السلام : أنه لما صار على خزائن الأرض، ما كان يشبع أبدا، فلمّا سئل عن ذلك، قال : أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع .

والمسرف مغمور بالنعمة من كل جانب، فأنى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين .

٧ ـ المساءلة غدا بين يدى الله :

والأثرالسابع المترتب على الإسراف، إنّما هى المساءلة غدا بين يدى الله كما قال ـ سبحانه : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر] .

ومجرد الوقوف بين يدى الله للمساءلة والمناقشة عذاب، كما قال ﷺ : « . . . من نوقش الحساب يوم القيامة عذب »(١) .

٨ ـ الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام :

والأثر الثامن الذى يتركه الإسراف، إنّما هو الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام، ذلك أن المسرف قد تضيق به أو تنتهى موارده، فيضطرّ ـ تلبية وحفاظا على حياة الترف والنعيم التى ألفها ـ إلى الوقوع ـ والعياذ بالله ـ فى الكسب الحرام، وقد جاء فى الحديث : « كل جسد نبت من سحت ـ أى من حرام ـ فالنّار أولى به »(٢) .

٩ ـ أخوة الشياطين :

والأثر التاسع الذى يتركه الإسراف، إنما هى أخوة الشياطين كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء] .

---

(١) هذه قطعة من حديث أخرجه البخارى فى : كتاب العلم : باب من سأل شيئا فراجع حتى يعرفه ١ / ٣٧، وكتاب التفسير : سورة إذا السماء انشقت ٦ / ٢٠٨، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب إثبات الحساب ٤ / ٢٢٠٤ رقم (٢٨٧٦) كلاهما من حديث عائشة W مرفوعا به، واللفظ لمسلم .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص ١٦ .

وأخوة الشياطين تعنى الصيرورة والانضمام إلى حزبهم، وإن ذلك لهو الخسران المبين والضلال البعيد: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة] .

١٠ ـ الحرمان من محبة الله :

والأثر العاشر الذى يتركه الإسراف ، إنما هو الحرمان من محبة الله كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف] .

وماذا يصنع من حرم محبة الله ؟ إنه يعيش فى قلق واضطراب، وألم نفسى، وإن أحاطت به الدنيا من كل جانب .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثاره على العمل الإسلامى فتنحصر فى :

سهولة القضاء عليه، أو على الأقل تأخيره إلى الوراء عشرات السنين ؛ نظرا لأن السلاح الوحيد الذى يواجه به المسلمون أعداء الله،ألا وهو الإيمان، إنّما يتأثر أشد ما يكون التأثير بالإسراف، والترف، والراحة، والنعيم.

تلك هى آثار الإسراف على العاملين، وعلى العمل الإسلامى . . . وقد مرّت بنا ـ أثناء الحديث عن أسباب الفتور ـ عدة نصوص من كتاب الله عز وجل وسنّة النبى ﷺ وسيرة السّلف، تتضمن إجمالا لكل هذه الآثار.

رابعا : الطريق لعلاج الإسراف :

وما دامت هذه آثار وعواقب الإسراف، وتلك أسبابه وبواعثه، فإن طريق العلاج تتلخص فى :

١ ـ التفكر فى الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف : فإن ذلك من شأنه أن يحمل على تدارك الأمر، والتخلص من الإسراف، قبل فوات الأوان .

٢ ـ الحزم مع النفس، وذلك بفطمها عن شهواتها ومطالبها، وحملها على الأخذ بكل شاق وصعب من قيام ليل، إلى صوم تطوع، إلى صدقة، إلى مشى على الأقدام، إلى حمل للأثقال . . . ونحو ذلك .

٣ ـ دوام النظر فى سنة النبى ﷺ وسيرته : فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف، بل وبمجاهدة النفس والأهل، والعيش على الخشونة والتقشف، إذ يقول ﷺ:

« المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » (١) .

وفى رواية : أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف، وهو كافر، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة، فحلبت، فشرب حلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنَّه أصبح، فأسلم، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فشرب حلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها، فقال رسول الله ﷺ : « المؤمن يشرب فى معىً واحد، والكافر يشرب فى سبعة أمعاء» (٢) . «ما ملأ آدمىٌ وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه » (٣) .

وإذ تحكى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير ابن أختها فتقول : إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين، وما أوقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار. فيقول لها عروة: ما كان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان : التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم، فيسقيناه (٤) .

وإذ تقول أيضا : كان فراش رسول الله ﷺ من أدم، وحشوه من ليف (٥) ، ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام برّ، ثلاث ليال تباعا حتى قبض (٦) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأطعمة : باب المؤمن يأكل فى معى واحد ٧ / ٩٢، ٩٣ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الأشربة : باب المؤمن يأكل فى معىً واحد ٣/ ١٦٣١ ، ١٦٣٢ رقم (٢٠٦٠ـ ٢٠٦٢) ، من حديث ابن عمر ، وجابر ، وأبى موسى رضي الله عنهم مرفوعا ، واللفظ له .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأطعمة : باب المؤمن يأكل فى معى واحد ٧ / ٩٣ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الأشربة : باب المؤمن يأكل فى معى واحد ٣/ ١٦٣٢رقم (٢٠٦٣) ، كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعا ، واللفظ لمسلم .

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ٤/ ٥٠٩ ، ٥١٠ رقم (٢٣٨٠) من حديث المقدام بن معدى كرب ﷺ مرفوعا به، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ٨/ ١٢١، ١٢٢ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٨٣ رقم (٢٩٧٢) ، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها به ، واللفظ للبخارى .

(٥) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ٨/ ١٢١، من حديث عائشة رضي الله عنها به .

(٦) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ٨/ ١٢٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٨١ رقم (٢٩٧٠)، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها به .

بل كان من دعائه ﷺ : « اللهم ارزق آل محمد قوتا » (١) .

وإن المسلم العامل لدين الله حين يقف على ذلك، وعلى غيره، تتحرك مشاعره وتتأجج عواطفه، فيترسم خطاه ﷺ ويسير على هديه اقتداء وتأسيا، وطمعا فى معيته فى الجنة : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء] .

٤ ـ دوام النظر فى سيرة سلف هذه الأمة، من الصحابة المجاهدين، والعلماء العاملين : فقد اقتدى هؤلاء به ﷺ، فكان عيشهم كفافا، ولا هم لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصّل للآخرة .

دخل عمر بن الخطاب على ابنه عبد الله رضي الله عنه فرأى عنده لحما، فقال: ما هذا اللحم؟ قال : اشتهيته ، قال : وكلما اشتهيت شيئا أكلته ؟ كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهاه (٢) .

وأتى سلمان الفارسى أبا بكر الصديق رضي الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقال : أوصنى يا خليفة رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر : إن الله فاتح عليكم الدنيا، فلا يأخذن منها أحد إلا بلاغا(٣).

وكتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على الكوفة يستأذنه فى بناء بيت يسكنه، فوقع فى كتابه : ابْنِ ما يسترك من الشمس ويكنك من الغيث، فإن الدنيا دار بلغة (٤) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه ٨/ ١٢٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٨١ رقم (١٠٥٥)، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه به ، واللفظ للبخارى.

(٢) الأثر أورده الكاندهلوى فى : حياة الصحابة ٢ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥ قائلا : « وأخرج عبد الرزاق، وأحمد فى الزهد ، والعسكرى فى المواعظ ، وابن عساكر عن الحسن ، قال: دخل عمر على ابنه . . .» وساقه بتمامه .

(٣) الأثر أورده الكاندهلوى فى : حياة الصحابة ٢ /٢٨٧ قائلا : « وعند الدينورى عن الحسن أن سلمان الفارسى أتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقال : أوصنى . . .» وساقه بتمامه.

(٤) الأثر أورده الكاندهلوى فى : حياة الصحابة ٢ / ٢٨٦ قائلا : « وأخرج ابن أبى الدنيا والدينورى عن سفيان بن عيينة قال : كتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على الكوفة يستأذنه فى بناء بيت يسكنه . . . » وساقه بتمامه .

وحكى ميمون أن رجلا من بنى عبد الله بن عمر ﷺ استكساه إزارا، قائلا : قد تخرق إزارى، فقال له عبد الله : اقطع إزارك ثم اكتسه . فكره الفتى ذلك، فقال له : ويحك، اتق الله، لا تكونن من القوم الذين يجعلون مارزقهم الله تعالى فى بطونهم، وعلى ظهورهم (١) . . .إلى غير ذلك من الأخبار المودعة فى بطون الكتب، والمنثورة هنا وهناك .

وإن المسلم العامل حين يقف على هذه الأخبار، يتحرك من داخله، فيتولد عنده حب السير على نفس المنهج، فتراه يطرح الترف والسّرف، ويعيش على الخشونة والتقشف، ليكون ناجيا مع الناجين .

٥ ـ **الانقطاع عن صحبة المسرفين مع الارتماء فى أحضان ذوى الهمم العالية والنفوس الكبيرة**، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، وكرّسوا كل حياتهم من أجل استئناف حياة إسلامية كريمة، تصان فيها الدماء، والأموال، والأعراض، ويقام فيها حكم الله عز وجل فى الأرض، غير مبالين بما أصابهم، ويصيبهم فى ذات الله، فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر السّرف والدّعة والراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى، لنكون ضمن قافلة المجاهدين، وفى موكب السائرين .

٦ ـ **الاهتمام ببناء شخصية الزوجة والولد** ؛ فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر الترف، وأن يحول دون التورط فيها مرة أخرى، بل ويعين على سلوك طريق الجادة، حين تنقضى هذه الحياة بأشواكها، وآلامها، ونردّ إلى ربّنا، فنلقى حظنا هناك من الراحة والنعيم المقيم .

٧ ـ **دوام التفكر فى الواقع الذى تحياه البشرية عموما، والمسلمون على وجه الخصوص** ؛ فإنّ ذلك يساعد فى التخلص من كل مظاهر الإسراف، بل ويحول دون التلذذ أو التنعم بشىء من هذه الحياة، حتى يمكن لمنهج الله، وترفع الراية الإسلامية من جديد .

٨ ـ **دوام التفكر فى الموت، وما بعده من شدائد وأهوال** ؛ فإن ذلك أيضا يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف والترف، ويحول دون الوقوع فيها مرة أخرى ؛ استعدادا لساعة الرحيل ويوم اللقاء .

---

(١) الأثر أورده الكاندهلوى فى : حياة الصحابة ٢ / ٢٨٨ قائلا : « وأخرج أبو نعيم فى: الحلية ١ / ٣٠١ عن ميمون أن رجلا من بنى عبد الله بن عمر ﷺ استكساه إزارا . . . » وساقه بتمامه .

٩ ـ تذكر طبيعة الطريق، وما فيها من متاعب وآلام، وأن زادها ما يكون بالإسراف، والاسترخاء، والترف، بل بالخشونة، والحزم، والتقشف ؛ فإن ذلك له دور كبير فى علاج الإسراف، ومجاهدة النفس، والقدرة على اجتياز وتخطى المعوقات والعقبات .